المشرق

حكم الجمعيّة المقدسة لشرح المجمع التريدنتيني
في التناول اليوميّ

وردنا مع البريد الاخير نص الحكم الذي اصدرته الجمعية المقدسة المكلّفة بشرح المجمع التريدنتيني ولما كان من الاهمية بمكان عظيم لاشتماله على حقيقة تعليميّة عامة ملزمة للكنيسة كلها على اختلاف طوائفها في الغرب والشرق اقتضت الحال نشره ليحيط بهِ العلم وهذا هو:

ان للمجمع التريدنتيني المقدس لما كان عالماً حقّ علم بان المسيحيين يجتنون من التناول المقدس كنوزاً تجلّ عن الوصف قال في الراس السادس من الجلسة الثانية والعشرين ما نصه: « ان المجمع المقدس يرغب من الحاضرين في كل قداس ان لا يقتصروا على التناول الروحي بل ان يقوموا ايضاً بالتناول السري ». وهذا الكلام يدلّ دلالة كافية على ان الكنيسة تشتهي من جميع المسيحيين ان يشتركوا كل يوم في هذه المأدبة السنوية ويقتطفوا منها ثمرات القداسة

وامانيّ الكنيسة هذه تنطبق على الرغبة التي التهبت في صدر المخلص لمّا وضع هذا السر الالهي فانه هو نفسه اوضح مرارًا بالفاظ جلية جداً لزوم اكل جسده وشرب دمه بتواتر وبيّن ذلك خاصة بقولهِ: « هذا هو الخبز الذي نزل من السماء. ليس كالمن الذي اكله آباؤكم وماتوا. من يأكل هذا الخبز فانهُ يعيش الى الابد » (يوحنا ٦: ٥٩)

فكانَ الربّ بمقابلتهِ طعام الملائكة بالخبز والمن قال لتلاميذه ان الجسد مثلما يقتات كل يوم بالخبز ومثلما اكل العبرانيون من المن يومياً في البرية كذلك النفس المسيحية تستطيع ان تقتات كل يوم بالخبز السماوي وتستمد منهُ قوّة

وزد على ذلك ان القسم الثاني من الصلاة الربية وهو الذي يوجب فيه الرب بان نطلب « خبزنا اليومي » يفسره عامة الآباء تقريباً بالخبز القرباني لتغذية النفس اليومية قائلين ان السيد المسيح انما عنى به الطعام الروحي اكثر من الخبز الطبيعي الذي هو طعام الجسد

على ان جل المقصود من رغبة السيد المسيح والكنيسة في ان يتقرب المسيحيون يومياً من الوليمة القدسية انما هو ان يتحدوا بالله في السر ليستمدوا قوة على كبح جماح الشهوات ومحو الهفوات التي يزلون بها كل يوم وتدارك الكبائر التي يتعرض لها الضعف البشري. وعليه فليست الغاية الاولية المحافظة على الاكرام والاحترام الواجبين للرب وليس اتخاذ القربان المقدس كضرب من الجزاء والمكافأة لفضيلة المتناولين (كما بينهُ القديس اغوسطينوس في خطابه ٥٧ على الصلاة الربية) ولهذا سمى المجمع التريدنتيني المقدس سر الافخارستيا « الترياق الذي ينقذنا من الهفوات اليومية ويمنعنا الخطايا المميتة » (جلسة ١٣ راس ٢)

وقد فهم المسيحيون الاولون ارادة الرب هذه فهماً جيداً فكانوا يتسارعون كل يوم الى مائدة الحياة والقوة « كانوا مواظبين على تعاليم الرسل والشركة في كسر الخبز » (اعمال ٢ : ٤٢) وقد جرى المسيحيون في القرون التابعة مجرى المتقدمين فاقتطفوا من ذلك ثمرات الكمال والقداسة كما يشهد الآباء القديسون ومؤرخو الكنيسة

ولكنهُ لما فترت التقوى شيئاً فشيئاً وخاصةً لما انتشرت في كل مكان اضاليل جنسانيوس بدأت المناقشة في الاستعدادات الواجبة للتناول المتواتر واليومي وتبارى القوم في طلب استعدادات اكمل واصعب فكانت نتيجة هذه المناقشة ان عدداً قليلاً من المسيحيين حُسبوا اهلاً لان يتناولوا يومياً القربان المقدس ويجتنوا ثمراته الخلاصية في حين ان البقية كانوا يكتفون بان يتناولوا مرة في السنة او مرة في كل شهر. وعلى الكثير مرة في كل اسبوع. ولم يقفوا عند هذا الحد ولكنهم تجاوزوا في الشدة والصرامة حتى حظروا التناول المتواتر على طبقات برمتها من الناس كالتجار والمتزوجين

ثم ان البعض تطرفوا ضد هذا الزعم وظنهم ان التناول اليومي مسألة مأمور بها بحق الهي ارادوا ان لا يمرّ يوم دون تناول وكانوا يدافعون عن امور كثيرة مغايرة لعادات الكنيسة ولاسيما ضرورة تناول القربان حتى في يوم الجمعة العظيمة وكانوا يقرّبون القربان في هذا اليوم

غير ان الكرسي الرسولي ما احجم عن ايفاء واجباته تجاه هذين الزعمين المشطّين فقد اصدر هذا المجمع بتاريخ ١٢ شباط عام ١٦٧٩ حكماً معضداً بهذه الكلمات «Cum ad aures» ومثبتاً من اينوشنسيوس الحادي عشر وفيه يفند المزاعم المذكورة ويمنع المتسرّب من العادات المغايرة ويصرح ان جميع المسيحيين من اية طبقة كانوا دون استثناء التجار والمتزوجين لهم ان يتناولوا تناولاً متواتراً تبعاً لتقوى كل واحد منهم ولراي معلمي اعترافهم. وفي ٧ ك ١ من عام ١٦٩٠ اصدر اسكندر الثامن حكماً معضداً بقوله «Sanctissimus Dominus noster» التي فيه قضية بايوس الذي كان يتطلب من المتناولين ان تكون فيهم محبة الله نقية جداً لا يشوبها شيء من النقصان

غير ان سموم جنسانيوس التي كانت قد تسرّبت حتى الى النفوس التقية بحجة الاكرام والاحترام الواجبين للافخارستيا لم تضمحل تماماً فظلت الناظرة حتى بعد تصريحات الكرسي الرسولي دائرة على الاستعدادات المطلوبة لامكان التناول المتواتر باهلية تبعاً لقوانين الكنيسة. وهذا الذي جرّ كثيراً من اللاهوتيين حتى المشاهير الى التعليم بان التناول اليومي لا يؤذن به للمسيحيين الا نادراً بشروط متعددة

على انهُ وجد اناس علماء واتقياء كانوا يأذنون بسهولة للمسيحيين باتباع هذه العادة الخلاصية المقبولة جداً عند الله. فكانوا يعلمون طبقاً لاقوال الآباء ان الكنيسة لم تضع وصية مخصوصة تقضي فيها للتناول اليومي باستعداد اكمل من التناول الاسبوعي او الشهري. وقالوا ايضاً ان التناول اليومي يأتي بثمار اغزر من التناول الاسبوعي او الشهري

ولما كانت المناقشات في هذه القضية قد تكاثرت في ايامنا واصبح كل فريق يدافع عن رايه بحدة ونتج عن ذلك اضطراب وقلق في اراء معلمي الاعتراف وضمائر المسيحيين مما أدى الى ضرر كبير بالتقوى والعبادة المسيحيتين . ولما كان البعض من الكبراء ورعاة النفوس قد توسلوا بالحاجة الى ابينا الاقدس البابا بيوس العاشر ان يحكم بسلطته السامية حكماً باتاً في قضية الاستعدادات المطلوبة للتناول اليومي حتى ان هذه العادة النافعة جداً للخلاص والمقبولة كثيراً عند الله لا تتناقص بين المسيحيين بل ترداد وتنتشر في كل محل ولاسيما في ايامنا التي كثر بها التهجم على الديانة والايمان الكاثوليكي في البلاد الاوربية وخفت تقوى الله ومحبته . ولما كان قداسته يرغب بما لهُ من العناية والاهتمام بالنفوس رغبةً عظيمة في دعوة الشعب المسيحي مراراً متواترة بل كل يوم ايضاً الى المأدبة القدسية مقتطفاً منها اشهى الثمرات واعظمها عهد الى هذه الجمعية بفحص القضية وتحديدها

فهذه الجمعية بعد ان فحصت في جلستها العمومية يوم ١٦ ك ١ من سنة ١٩٠٥ فحصاً مدققاً القضية المذكورة . وبعد ان تبحرت كل التبحر في ادلة الموافقين والمعارضين قررت ما يلي ذكره :

١ — ان التناول المتواتر واليومي لما كان مرغوباً كل الرغبة من ربنا ومن الكنيسة الكاثوليكية يجب ان يكون ميسوراً لجميع المسيحيين من اية طبقة كانوا بحيث لا يُمنع منهُ احد اذا اقترب الى المائدة بحالة النعمة وبنية قوية تقوية

٢ — . وماهية النية المستقيمة هي ان المتناول لا يُقدم على التناول لمجرد العادة او الفخر الباطل او لاسباب بشرية بل يجب ان تكون غايته مرضاة الله وتوثيق الاتحاد معهُ بالمحبة واتخاذ هذا العلاج شافياً لاسقامه ونقائصه

٣ — . انهُ ولو كان يليق جداً بمن يتناولون تناولاً متواتراً ويومياً ان يتنزهوا من الخطايا العرضية التي يأتونها بتعمد وقصد على الاقل ومن الميل الى هذه الخطايا . الّا انهُ يكفي ان يكونوا ابرياء من الخطايا المميتة مع العزم على الامتناع عنها في

المستقبل . ومتى قصدوا هذا القصد الثابت يتعذّر عليهم مع التناول اليومي ان لا يتخلصوا شيئاً فشيئاً حتى من الخطايا العرضية ومن الميل اليها

٤ — . ان اسرار الديانة المسيحية تؤثر من ذات الفعل غير ان تأثيرها يزيد على مقدار الكمال في استعدادات قابلها فمن ثم يجب اذاً ان يتقدم التناول تأهب جدّي ويليه شكر لائق تبعاً لاستطاعة كل احد وحالته والتزاماته

٥ — .حتى يجري التناول المتواتر واليومي بفطنة ولستحقاق اعظم يجب من باب الضرورة الوقوف عند راي معلم الاعتراف . وعلى معلمي الاعتراف ان يحترزوا من منع التناول المتواتر حتى اليومي ايضاً عن كل من يكون في حال النعمة ويرغب في التناول بنية قويمة

٦ — .من البديهي ان التناول المتواتر او اليومي ايضاً يوثق روابط الاتحاد بالسيد المسيح ويزيد غذاء الحياة الروحية ويُغني النفس بانفس الفضائل ويمنح المتناول عربوناً مؤكداً على الحياة الابدية . فيجب اذاً على الخوارنة ومعلمي الاعترافات والواعظين ان يكثروا من تحريض الشعب المسيحي على هذه العادة التقوية والخلاصية تبعاً للتعليم المثبت في التعليم المسيحي الروماني (جزء ٢ فصل ٦٣)

٧ — .ينبغي نشر التناول المتواتر واليومي خاصة في المؤسسات الرهبانية من اي صنف كانت على ان ذلك لا يغير شيئاً من حكم « Quemadmodum » المؤرخ في ١٧ ك ١ سنة ١٨٩٠ الصادر من مجمع الاساقفة والقانونيين بخصوص المؤسسات المذكورة . وينبغي الاجتهاد ايضاً على قدر المكنة بنشره في المدارس الاكليريكية التي يترشح طلبتها لخدمة الهيكل وهكذا القول ايضاً عن سائر معاني التهذيب المسيحية اية كانت

٨ — . اذا كانت بعض الرهبانيات قد عينت بنذور احتفالية او بسيطة في قوانينها او ترتيباتها او كالتزاماتها اياماً مخصصة للتناول الالزامي فينبغي ان تُحسب هذه الرسوم بمثابة مسألة تدبيرية محضة لا بمثابة امر ووصية . وينبغي ان يحسب العدد

المحدد للمناولات كاقل عدد بالقياس الى تقوى الرهبان. وبناء على ذلك يجب ان يُسهل لهم على الدوام الاقتراب المتواتر حتى اليومي ايضاً الى مائدة الخلاص تبعاً للقواعد التي سبق ايرادها من هذا الحكم . ورغبة في ان يطلع الرهبان من كلا الجنسين على مندرجات هذا الحكم يجب على رؤساء كل دير ان يأمروا بتلاوته كل سنة باللغة العامية في مدة الايام الثمانية التي تلي عيد الجسد الالهي

٩ — بعد اذاعة هذا الحكم ينبغي لجميع الكتبة الكنائسيين ان يكفوا عن كل جدال يتعلق بالاستعدادات المطلوبة للتناول المتواتر واليومي

*

بناء على التقرير المرفوع للاب الاقدس البابا بيوس العاشر بشان كل ما تقدَّم ذكره من قبل كاتب اسرار هذه الجمعية المقدسة الموقع بذيله في مواجهة ١٧ ك ١ من عام ١٩٠٥ تنازل قداسته فأيد وثبّت حكم الآباء الفائقي النيافة وأمر باذاعته دون ان يمنع من ذلك مانع . ثم اوعز ايضاً بارساله الى جميع الاساقفة والرؤساء القانونيين حتى يبلغوه الى المدارس الكهنوتية وخوارنة الرعايا والمؤسسات الدينية وسائر الكهنة. وهو يرغب منهم ان يطلعوا الكرسي الرسولي على كيفية انجاز هذه الاوامر في التقارير التي يقدمونها عن احوال ابرشياتهم ومؤسساتهم (البشير)

المغرب الاقصى

نظر في احوالهِ وسكّانهِ للاب اوغست دافيه اليسوعي

مُنذ نحو سنتين قد انصرفت انظار السياسيين الى اقطارٍ قلَّما كنَّا نسمع سابقًا بذكرها لبعدها وانقطاع اخبارها عنَّا نريد بلاد المغرب الاقصى فلم يُدْ يسعنا السكوت عنها وعليهِ قد عوَّلنا على تسطير هذه المقالة ليكون قرَّاؤنا على بيِّنة من احوال تلك